الإمام علي بن ابي طالب

كنا وعدنا حين الإلمام بسيرة الرسول عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام انا سنلم ايضا من وقت لآخر بسيرة بعض عظماء العرب والمسلمين وقد ترددنا اولا في ذكر بعض كبار الائمة والصحابة لئلا يسبكها بعض الناس بقالب التشيع والتعصب بيد انا آلينا على انفسنا ان نذكر هؤلاء الأعاظم لمجرد عظمتهم ونبوغهم لا لفضلهم وسابقتهم فحسب ولم نر رجلا اجمعت على فضله وعبقريته الأمة في شرقها وغربها مثل علي بن ابي طالب لذلك عقبنا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام بذكره وعسانا نكون مصيبين بعملنا هذا والأعمال بالنيات

ولادته واسمه ونسبه (١)

ولد في مكة المكرمة في البيت الحرام (الكعبة) ولم يولد به احد قبله ولا بعده وذلك يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب بعد ثلاثين عاما من عام الفيل واسمه علي وكنيته ابو الحسن او ابو الحسنين او ابو تراب وهو ابن ابي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب (شيبة الحمد) وعنده يجتمع نسبه بنسب النبي (ص) وقد ولد ابو طالب طالبا ولاعقب له وعقيلا وجعفرا وعليا كل واحد أسنّ من أخيه بعشر سنين وام هاني (فاخته) وامهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم وبه يجتمع نسبها مع نسب أبي طالب ونسب النبي (ص)

نشأته

كانت نشأته نشأة صالحة وتربيته تربية عالية لأن اباه ابو طالب كان من اشرف قريش واعلاها منزلة واسجحها اخلاقا وقد بقي في بيت ابيه الى السادسة من سنيه حيث جاور ابوه ربه فكفله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليكافأ اباه على ما اولاه من الرعاية فانتقل من حجر أبيه الى حجر مربيه محمد بن عبد الله فنشأ نشأة من اين للملوك وأبناء الملوك والعلماء

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة لأبي الفتح الإربلي

وابناء العلماء أن ينشأوا نشأة مثلها ولعل الفضل كل الفضل في نبوغه وعبقريته لتلك التربية الصالحة التي تسنت له وقد اختلف في سنه حين نزول الوحي على ابن عمه فقيل عشر سنين وهو القول المشهور وقيل ١٦ سنة وهو القول المهجور وقيل ١٣ سنة وقد أيده ابن ابي الحديد في شرح النهج بما روي عنه عليه السلام لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين فإذا أضفنا لها الستين الست تصبح ثلاث عشرة

اسلامه ونصرته لابن عمه

لا شك أنه كان اول الناس اسلاما وكثير من المؤرخين والمحدثين يقول كان أول من اسلم من الصبيان ... وعلى كل حال فهو السابق الذي لم يسجد لصنم قط ولم يعبد غير الواحد الأحد الفرد الصمد

ولم يتقدم لنصرة ابن عمه وموازرته غيره يوم دعا العرب لوليمة قائلا من يكون أخي وموازري على هذا الأمر فأحجم عن الجواب من حضر إلا هو فقال انا أكون أخاك وموازرك على هذا الأمر

ثم ما زال سيفه المسلول وحسامه المصقول في كل حروبه وغزواته وعضده المتين في كل حالة من حالاته لم نقرأ عن أحد من الصحابة أنه صمد كما صمد وثبت كما ثبت

زواجه بالزهراء

خطب فاطمة بنت النبي عليها السلام أشراف قريش وكبار الصحابة فلم يجب النبي احدا منهم فقالوا لعلي اخطبها فذهب إلى رسول الله خجلا فخطبها لنفسه فأجابه ولم يكن عنده شيء لمهرها فأمره النبي ببيع درع له فباعها باربعمائة درهم واحضر الدراهم للنبي فكان مهر فاطمة وكان ذلك في الثاني من ذي الحجة سنة اثنتين للهجرة

وعن عائشة وام سلمة رضي الله عنهما قالتا أمرنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي فعمدنا إلى البيت ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا ثم اطعمنا تمراً وزبيباً وسقينا ماء عذبا وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة

ولا شك أن مثل فاطمة الزهراء سيدة النساء لا تصلح إلا للإمام علي عليه السلام فلقد كانت على جانب عظيم من الفصاحه والبلاغة والعلم وإباء النفس لكنه لم يطل أمرها كثيرا فقد جاورت ربها بعد وفاة ابيها بمدة يسيرة وكانت في شرخ صباها وولدت (١) من امير المؤمنين الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم أما مجموع اولاده فسبع وعشرون ولدا منهم ١١ ذكرا و١٦ انثى من امهات مختلفة

شجاعته

لو أمعنت النظر قليلا لألفيت عليا بلغ من الشجاعة مكانا قصيا لم يبلغه أحد قبله ولا بعده فقد قتل في حروبه مع الرسول كبار أبطال العرب ولم يكن يبرز إليه أحد إلا ظفر عليه وحسبك عمرو بن عبد ود الذي تحاماه الناس وما برز لأحد إلا قتله فبرز اليه امير المؤمنين وهو فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من سنيه فقتله وبذلك تقول أخت عمرو

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ابدا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... من كان يدعى ابوه بيضة البلد
وأدهش من قتله عمراً قلعه باب خيبر الذي اجتمع على قلعه جماعة

(١) إرشاد المفيد

كثيرة من المسلمين فلم يقدروا لكن البطل المظيم علي اقتلعه وحده وتلك لعمري غاية الشجاعة ونهاية البطولة وازاحته الصخرة العظيمة عن الماء وقد اجتمع على زحزحتها العسكر كله فلم يفعل شيئا فأزاحها وحده وفيهما ما يغني عن تعداد مواقفه ومواقعه مقنع وأي مقنع

علمه وفضله

كان من العلم والفضل على حالة يسمج معها الاستدلال ويكفي أن يقرأ المشتبه ما اشتهر من خطبه ومواعظه وحكمه وادعيته حيث يرى علما غزيرا لم يتسن لغيره في عصره وهو الذي وضع علم النحو في اللغة العربية ، قال (١) ابو الأسود الدئلي دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فرأيته مطرقا مفكرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية فقلت إن فعلت هذا يا امير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ايام فالقى إلي صحيفة فيها : البسملة . الكلام كله اسم وفعل وحرف والأسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال لي تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر قال فجمعت منها أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب فكان منها إن وأن وليت ولعل وكأن ولم اذكر لكن . فقال لي لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بلى هي منها فزدها فيها »

ويكفي قول ابن عمه فيه (أقضاكم علي) والقضاء يستدعي العلم وقول النبي ايضاً «أنا مدينة العلم وعلي بابها» إلى احاديث كثيرة متواترة لسنا بصدد

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٢٦٧

إيرادها وكان الصحابة جميعهم يحتاجونه ويرجعون اليه في الأمور المشكلة ولم يرجع هو إلى أحد منهم حتى قال عمر رضي الله عنه « لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن »

وقوله عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني على ملأ من الناس ولم يسأل عن شيء إلا أجاب عنه والمسألة المنبرية التي تدل على طول باعه في علم الفرائض فقد (١) سئل وهو على المنبر يخطب — عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين كم نصيب المرأة فقال صار ثمنها تسعا (٢)

وكان لم يباره أحد في علم الحساب فعن ابن ابي ليلى أن رجلين تغديا في سفر ومع احدهما خمسة ارغفة ومع الآخر ثلاثة وآكلهما ثالث فاعطاهما ثمانية دراهم عوضا فاختصما وارتفعا إلى امير المؤمنين عليه السلام فقال هذا امر فيه دناءة والخصومة فيه غير جميلة والصلح أحسن فأبى صاحب الثلاثة إلا مر القضاء فقال عليه السلام إذا كنت لا ترض إلا بمر القضاء فلك واحد من ثمانية ولصاحبك سبعة أليس كان لك ثلاثة أرغفة ولصاحبك خمسة قال فهذه اربعة وعشرون ثلثا أكلت منه ثمانية والضيف ثمانية فلما أعطاكما الثمانية الدراهم كان لصاحبك سبعة ولك واحدة

والمسألة الركابية وهي أنه سئل وهو واضع رجله في الركاب عن عدد تخرج كسوره التسعة كلها صحاحا فقال للسائل بدون توقف اضرب أيام اسبوعك بأيام سنتك فما حصل فهو المطلوب

شعره

اشتهر عنه شعر كثير جمع في ديوان متوسط يبلغ زهاء الف وخمسمائة

(١) مناقب آل ابي طالب لابن شهر اشوب (٢) للأبوين السدسان وللبنتين الثلثان وللمرأة الثمن عالت الفريضة فكان لها ثلث من اربعة وعشرين ثمنا فلما صارت الى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعا

بيت من الشعر في اغراض منوعة لكن من ينظر الى تباين ذلك الشعر واختلافه في درجات البلاغة يحكم أن اكثره مكذوب عليه ومنسوب اليه وقد روى ياقوت في معجم الأدباء عن ابي عثمان المازني أنه قال: لم يصح عندنا أن علي بن ابي طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين

تلكم قريش تمنائي لتقتلني ولا وجدك ما بزّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

مع أنه ذكر بعد ذلك ما نصه [1] . ومما يروى أن معاوية كتب الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إن لي فضائل كان ابي سيدا في الجاهلية وصرت ملكا في الإسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحي . فقال امير المؤمنين عليه السلام أبا لفضائل تفتخر عليّ يا ابن آكلة الاكباد اكتب اليه ياغلام

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الإسلام طراً صغيرا ما بلغت أوان حلمي

قال الشارح وبعدها بيتان لم يذكرهما المصنف وهما

واوصاني النبي على اختياري ببيعته غداة غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلمي

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب لكن مما لا شبهة فيه أن له عليه السلام غير هذا الشعر شعراً كثيراً

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٦٦

يكاد يكون متواترا عنه وها نحن نثبت هنا بعض المختار منه

قال في الصبر على حوادث الزمان

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
حريص على أن لا يرى بي كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

وقال في كثرة المال وقلته

تغطي عيوب المرء كثرة ماله فصدِّق فيما قال وهو كذوب
ويزري بعقل المرء قلة ماله فحمَّقه الأقوام وهو لبيب

وقال في الفخر بالأدب دون النسب

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
فليس تغني الحسيب نسبته بلا لسان له ولا أدب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال في مقابلة السفه بالحلم

وذي سفه يواجهني بجهل واكره أن اكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاد في الإحراق طيبا

وقال في كثرة الأعداء وقلة الأصدقاء

علمي غزير واخلاقي مهذبة ومن تهذب يشقى في تهذبه
لو رمت الف عدو كنت واجدهم ولو طلبت صديقا ما ظفرت به

وقال في فقد الشباب وفرقة الأحباب

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

وقال في كثرة الناس وقلتهم

ما اكثر الناس لابل ما اقلهم والله يعلم أني لم أقل فندا
إني لأفتح عيني حين افتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقال في الصديق

هموم رجال في أمور كثيرة وهمي في الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين قسّمت فجسمها جسمان والروح واحد

وقال في الفناء

إن الذين بنوا فطال بناؤهم واستمتعوا بالأهل والأولاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
وارى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يسير إلى بلىً ونفاد

وقال في تقبيح الجهل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله واجسادهم قبل القبور قبور
وإن امرءاً لم يحيَ بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور

وقال في مسالمة الليالي

احسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال في النهي عن وضع المعروف عند غير أهله

لا تصنع المعروف في ساقط فذاك صنع ساقط ضائع
وضعه في حر كريم يكن عُرفك مسكاً عَرفه ضائع

وقال في حرمان العالم ورزق الجاهل

كم من عليم قوي في تقلبه مهذب اللب عنه الرزق ينحرف
كم من ضعيف سخيف العقل مختلط كأنه من خليج البحر يغترف

وقال مفتخراً بقومه

قومي إذا اشتبك القنا جعلوا الصدور لها مسالك
اللابسون دروعهـــــــم فوق القلوب لأجل ذلك

وله قصائد طوال منها قصيدة مطلعها

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

وهي من القصائد الجيدة

ومنها قصيدة يتشوق بها إلى النبي وفاطمة عليهما السلام جاء فيها

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

* * *

وليس جليلا رزء مال وفقده ولكن رزء الأكرمين جليل
لذلك جنبي لا يواتيه مضجع وفي القلب من حر الفراق غليل

وله في العلم والمال

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باقٍ لا يزال

وقال عند وفاة عمار بن ياسر رضي الله عنه

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد افنيت كل خليل
رأيتك مغرىً بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

وقال في الأخلاق الفاضلة

صن النَّفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترينّ الناس إلا تجملا نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعزّ غني النفس إن قلّ ماله ويغنى غني المال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلوّن إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما اكثر الإخوان حين تعدّهم ولكنهم في النائبات قليل

وقال في القناعة

علل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها
إنما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

وقال في الحشر بعد الموت

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

وقال في معرفة اصل المرء من عمله

من لم يكن عنصره طيبا لم يخرج الطيب من فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه من فعله يعرف ما فيه

نثره

لم يشك احد ممن توغل في درس اللغة العربية، عرف اسرارها أن عليا إمام البلغاء، وقطب رحى الفصحاء، ولم يرو لأحد غيره من العرب ما روي له من الخطب والكتب والأدعية والحكم وحسبك أن نهج البلاغة قسم قليل منها وكم بعده من ائمة البلاغة من اجتهد في مباراة كلامه فلم يصل إلى عشر معشاره ومن غريب امره أنه لم يبق فن من الفنون إلا وأشار اليه تلميحاً أو تصريحاً وقد قيل عن كلامه أنه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق وقيل عنه ثالث الكلامين أي كلام الله و كلام رسوله ولا اخال أنه يختلف في ذلك اثنان وحسبك أن معاوية مع عداوته له قال لحفن الضبي لما قال له جئتك من عند أعيا الناس — يا ابن اللخناء العلي تقول هذا وهل سن الفصاحة لقريش غيره

ولعمرك إن المرء ليحار فيما يختار له و كل كلامه مختار لكن مالا يدرك كله لا يترك كله وها نحن نبدء باختيار بعض جمل من خطبه الرائعة

قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وابو سفيان أن يبايعا له بالخلافة

« أيها الناس شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه ، فإن أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت ، هيهات بعد اللتيا والتي ، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه ، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة »

وقال في ختام خطبة له فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

« إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا ، ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعة أبورَ من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ، ولا سلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه ، ولا عندهم انكر من المعروف ، ولا اعرف من المنكر ، وإذا تأملت في خطبته التي يذكر بها الطيور ويصف الطاووس رأيت وصفا عجيبا جاء في اواخرها قوله

« وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه ، وبصيص ديباجه ورونقه ، فهو كالأزاهير المبثوثة ، لم تربّها أمطار ربيع ولا شموس قيظ »

« فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاّه للعيون فأدركته محدودا مكونا ، ومؤلفا ملونا ، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته ، وقعد بها عن تأدية نعته »

ومن ابلغ خطبه واجمعها لمكارم الأخلاق خطبته لهمام في صفات المتقين

وها نحن نورد لك طرفا صالحا منها

« فمن علامة احدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزما في لين ، وإيمانا في يقين وحرصا في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبرا في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع ، يعفو عمن ظلمه ويُعطي من حرمه ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور وفي الرجاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ماذكر ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ، إن صمت لم يغمه صمته وإن ضحك لم يعل صوته ، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة »

هذه لمحة صغيرة من خطبه أما كتبه لعماله وغيرهم فهي كثيرة ايضا جمعت فأوعت من افانين البلاغة ورضعت افاويق الفصاحة وحوت من السياسة وحسن التدبير ، والأدب والعلم الغزير ، مالم تجمعه كتب غيرها فمن وصاياه لمن يستعمله على الصدقات قوله : انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعن مسلما ، ولا تجتازن عليه كارها ، ولا تأخذن منه اكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم ، الخ . وكلها على هذا النمط البديع والوصايا التي تمثل العدل أجلى تمثيل . وجاء في ختام عهد له إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة «ومن استهان بالأمانة ،

ورتع في الخيانة ، ولم ينزه نفسه ودينه عنها ، فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا ، وهو في الآخرة أذل وأخزى ، وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة» ومن عهد له لمحمد بن ابي بكر حين ولاه مصر «فاخفض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك ، وآسي بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فإن الله تعالى سائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فإن يعذب فأنتم أظلم ، وإن يعف فهو أكرم . وكتب الى أحد عماله على البصرة عثمان بن حنيف وقد بلغه أنه دعي الى وليمة فمضى اليها

« أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها ، تستطاب لك الألوان ، وتنقل اليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، إلى أن قال : ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزت من ارضها شبرا الخ

أما كتابه لعامله مالك بن الأشتر رضي الله عنه لما ولاه مصر فهو من اطول كتبه وابلغها وانقاها ديباجة وقد جمع به السياسة المدنية مما لم يجمعها أحد قبله ولا بعده وها نحن نورد لك نتفا منه لتعلم عزة مكانه ، وخطورة شانه ، قال في الرحمة بالرعية

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم ، فإنهم صنفان ، إما اخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق»

وقال في العامة والخاصة ، والوصية بالعامة خاصة

« وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ،

واكره للإنصاف ، واسأل بالإلحاف ، واقل شكرا عند الإعطاء ، وأبطأ عذرا عند المنع ، واضعف صبرا عند ملمات الدهر ، من أهل الخاصة . وإنما عمود الدين وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الأمة ، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم »

وقال في إبعاد الذين يعيبون الناس وما اكثرهم بهذا الزمن

« وليكن أبعد رعيتك منك ، واشنأهم عندك ، اطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك »

وقال في النهي عن استوزار من استوزر للأشرار

« إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرا ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم اعوان الأئمة ، واخوان الظلمة »

وقال في المحسن والمسيء

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الإحسان ، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه »

ثم قسم الناس إلى اصناف وطبقات وأوصى بكل منهم إلى أن قال في الخراج والعمارة مما يجدر بالحكومات المتمدنة اتخاذه دستورا

« وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله ، فإن في إصلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج واهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، واهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلا »

ثم اوصى بالكتّاب واختيارهم وعقبه بالاستيصاء في التجار وذوي الصناعات . ثم اوصى في الطبقة السفلى من لا حيلة لهم وهم المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمنى وصية تستعطف الصخر الأصم ثم أمره أن يعقد مجلسا عاما لأهل الحاجات لا يكون فيه اعوانه وشرطته لئلا يتعتع متكلمهم وفقا لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف

فيها حقه من القوي غير متتعتع) ثم اوصاه بوصايا عامة مهمة جدا يضيق المقام عن استيعابها . أما حكمه وكلماته الموجزة التي فيها ما قل ودل فكثيرة وحسبك منها ألف الكلمة التي جمعها ابن ابي الحديد ومائة الكلمة التي جمعها الجاحظ وهي غيض من فيض وقطرة من بحر ومع شهرتها ونقلنا في كل جزء شيئا منها نورد لك هنا بعضها

١ إلهي كفاني فخرا أن تكون لي ربا وكفاني عزا أن اكون لك عبدا أنت كما أريد فاجعلني كما تريد ٢ افضل على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ٣ عدم الأدب سبب كل شر ٤ ما اصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلا ٥ العشق مرض ليس فيه اجر ولا عوض ٦ الخصومة تمحق الدين ٧ من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه ٨ الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة ٩ موت الرؤساء اسهل من رئاسة السفلى ١٠ العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم ١١ كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ١٢ إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي وإذا ضعفت انقطع إلى السجت ١٣ ثلاثة يرحمون : عاقل يجري عليه حكم جاهل ، وضعيف في يد ظالم قوي ، وكريم قوم احتاج إلى لئيم ١٤ لا تقبلن في استعمال عمالك وامرائك شفاعة إلا شفاعة الكفاية والأمانة ١٥ قصم ظهري رجلان جاهل متنسك ، وعالم متهتك ١٦ إذا أيسرت فكل الرجال رجالك ، وإذا أعسرت أنكرك اهلك ١٧ إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر ١٨ لكل نعمة مفتاح ومغلاق فمفتاحها الصبر ومغلاقها الكسل ١٩ لا تواخ شاعرا فإنه يمدحك بثمن ويهجوك مجانا

اخلاقه الفاضلة وصفاته العالية

كان عليه السلام أكرم الناس اخلاقا وانبلهم مزايا وصفات فقد عرفت شيئاً يسيرا من شجاعته ويكفيك نومه في فراش النبي حينما تآمر على قتله مشركو قريش وأما كرمه فقد شاع وذاع ويكفيك قصة المسكين واليتيم والأسير حتى نزل القرآن به وبأهل بيته (ويطعمون الطعام على حبه

مسكيناً ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقد قال معاوية لمن قال له جئتك من عند البخل الناس ويحك كيف يكون بخيلا ولو كان لديه بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه واما زهده وتقشفه فقد ملأ الأسماع وكان طعامه في يومه قرصين من شعير يختم عليهما لئلا يضع عليهما الحسنان شيئاً من السمن اوالزيت واما التقوى فهو ابو بجدتها وقد كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة مع انهماكه في الحروب وتدبير الأمور وحسبك من ورعه أنه هم بقطع يد ابنته لأنها استعارت عقد لؤلؤ من بيت المال لتتزين به في يوم عرس وقد بلغ من ورعه أنه قيل عنه لا سياسة عنده ولا دهاء وهو الذي يقول «لولا حاجز من تقوى الله لكنت أدهى العرب» وكان من تواضعه أنه يسقي لرجل من اليهود بالأجرة ويعود بها على الفقراء والمساكين ويحفر آبارا لتشرب منها المارة وينام على التراب حتى كناه النبي أبا تراب وكانت أحب كناه إليه ولكثرة تواضعه ومزاحه احيانا قال قائل عنه إن به دعابة إلى غير ذلك من اخلاقه الكريمة وصفاته السامية التي لاتحيط بها هذه العجالة

خلافته واستشهاده

تولى الخلافة مرغما يوم قتل عثمان سنة ٣٥ للهجرة فشغله خصومه بالحروب عن الفتوح وتدبير الشؤون فكانت وقعة الجمل بعد خلافته بخمسة اشهر و٢١ يوما فقتل من اصحاب عائشه ثمانية آلاف ومن اصحابه زهاء الف وذلك سنة ٣٦ وكانت بعد ذلك وقعة صفين المشهورة وذلك سنة ٣٧ للهجرة وكان اصحابه ٩٠ الفا واصحاب معاوية ١٢٠ الفا وقيل بالعكس وقتل من اصحابه ٢٥ الفا ومن اصحاب معاوية ٤٥ الفا وفي سنة ٣٩ كانت وقعة النهروان التي قتل فيها الخوارج وكان النصر بهذه المواقع بجانبه

ولولا الخديعة برفع المصاحف في صفين وتحكيم الحكمين لما أبقى لمعاوية وجنده باقية والخوارج هم الذين اجبروه على التحكيم ثم قالوا لاحكم إلا لله وهم يشبهون الفوضوية في هذه الايام وقد اجتمع ثلاثة منهم على قتل الامراء الثلاثة فتولى ابن ملجم لعنه الله قتل علي عليه السلام فقتله وهو ساجد بمحرابه في ١٧ او ١٩ او ٢١ رمضان سنة ٤٠ للهجرة والثابت عند الشيعة أنه استشهد في الليلة التاسعة عشرة منه وله من العمر ٦٨ او ٦٥ او ٦٣ سنة (وهو الأشهر) على اختلاف الاقوال أنه أسلم ابن عشر سنين او ١٣ أو ١٥ فانطفأ نور تلك الحياة الكبيرة التي لم يقم بعد الرسول مثلها ولم يغفل صاحب تلك النفس الكبيرة وهو على فراش الموت أن يطعم قاتله من طعامه ويسقيه من شرابه ويوصي به بعد موته وينهى اولاده عن المثلة به إذا هو مات فحقا والحق يقال إن من قرأ سيرتك العالية وسبر اخلاقك السامية يدرك حكمة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)

فلسفة سيرته

إن من يطلع على ما قاله كبار فلاسفة الشرق والغرب في هذ النابغة العظيم لا يعتريه شك ولا يخامره ريب أن عليا الشجاع وعليا الخطيب وعليا العالم وعليا الأخلاقي وعليا الورع وعليا الزاهد وعليا الإمام وعليا أمير المؤمنين هو أعظم رجل قام بعد الرسول من المسلمين وكان له القدح المعلى في السياسة والدهاء لكن تلك السياسة الحكيمة التي لا تخالف الفضيلة والدين لا هذه السياسة التي تستحل الكذب والحيلة وخلف الوعد ونقض العهد في سبيل المصلحة . وكيف يتصف بهذه السياسة وهو مع الحق والحق معه يدور كيف دار والعاقبة للمتقين